الجاز والروك ينتعشان مجدداً في العاصمة دمشق

دلامة شهاب لـ«الوطن»: نبين للعالم كله أن وجهتنا هي الثقافة والموسيقا والفن والمسرح

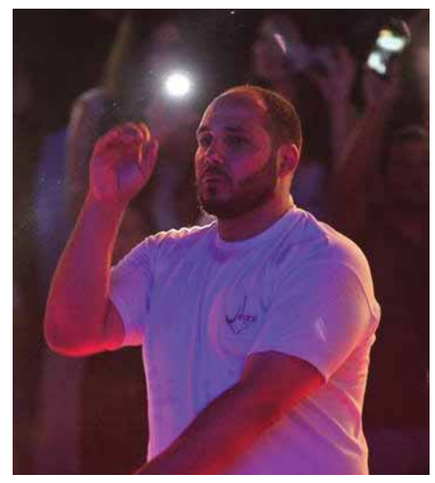
دلامة شهاب

سيف الدين سبيعي

| سارة سلامة

بعيداً عن الحرب التي تركت أثراً كبيراً داخل تفاصيل المجتمع السوري فلم يكن البناء والحجر والشجر أبرز ضحاياها فقط، بل كان للشأن الثقافي دور كبير ونلاحظ غياباً كاملاً لموسيقا الروك والجاز التي كانت تشهد نشاطاً ملحوظاً قبل الحرب لتقف هكذا على عتبة عام ٢٠١٠ مترقبة جلّ شبابها وشاباتها الذين تركوها مهاجرين أو منغمسين داخل قضايا بلد يصارع حرباً لا هوادة فيها.

وعلى الرغم من كل الظروف التي مرت لا يزال هناك شبان سوريون حالمون بغد مشرق يمحي ذكرى ماض أليم ليعودوا ويبثوا الأمل داخل بلادهم ويثبتوا للعالم أجمع أن سورية تصدر الثقافة والفن والغناء لا الإرهاب.

ونشهد اليوم ولادة جديدة لفرقة باسم «جاز دمشق»، أشعلت مسرح «دار الأوبرا» في مشروع دمّر بقيادة المايسترو دلامة شهاب مؤسس الفرقة، وشارك في الحفل مجموعة من المغنين هم: (الفنان سيف الدين سبيعي، ومصطفى الشهابي، ولين البطل، وسوزانا الوز، وعلاء خشي) من خلال مقطوعات ربطت فيها موسيقا الجاز مع موسيقا الروك، وتأسست الفرقة هذا العام من أهم عازفي موسيقا الروك والجاز في سورية، لتعمل على تقديم أعمال كلاسيكية نموذجية من «ريبرتوار» الجاز والروك العالمي، ومؤلفات موسيقية خاصة بها، وتجارب أخرى لفنانين موهوبين، كما أنها تسعى لربط موسيقا الجاز بالأنواع الموسيقية المختلفة مع التراث السوري.

وللحديث أكثر عن تلك الفرقة كان لا بد من الحديث مع المايسترو الشاب دلامة شهاب الذي وضع كل طاقاته ليعلن الانطلاقة في العاصمة دمشق ويتحدث إلينا أكثر عن المعوقات والآفاق والطموح في هذا الحوار..

إلى متى ستبقى وزارة الثقافة تتحمل الأعباء؟
لماذا لا تقوم الشركات الخاصة بدعم المشروعات الجدية والراقية؟

• زاوجت بين الجاز والروك في حفلة واحدة كيف كان ذلك؟

هذه الفكرة جديدة وهي الأولى من نوعها بعد الأزمة ولكنها كانت موجودة من قبل، من خلال فرقة جاز سورية تشكلت في العام ٢٠٠٥ واستمرت حتى العام ٢٠١٠، وبعد هذا التاريخ اختفت تلك النشاطات بسبب ظرف الحرب التي مرتّ على بلدنا، وخاصة بالنسبة لهذه الأنواع من الموسيقا غير المتبناة من المؤسسات الثقافية، فهي تعتبر خطاً آخر مختلفاً، وليس لها أرضية تعليمية، أي إننا نعتمد في سورية على تدريس الموسيقا العربية والكلاسيكية في المعهد العالي للموسيقا ولا يوجد لدينا أي نوع من تعليم موسيقا الجاز أو الروك.

• كيف تشكلتم وأحييتم هذه الفرقة من جديد؟

حقيقة نحن وجدنا من العدم وخاصة في سورية لا توجد أرضية وكانت بعيدة تماماً مدة تقارب ٨ سنوات عن هذا النوع من الموسيقا، وقمنا بإحياء هذه الموسيقا بعد أن اختفت، وآخر حفلة لأوركسترا الجاز السورية كانت عام ٢٠١١، وعودتنا هي لإحياء فكرة الجاز ولكن باسم مختلف لأنه كان يوجد شيء اسمه جاز سوري.

• كيف كان تفاعل الناس مع هذا النوع من الموسيقا؟

كان لدينا نوع من القلق والخوف من ردة فعل الناس ألا تتقبل هذا النوع بعد سنوات من الغياب، وكانت الحفلة الأولى التي قمنا بها مثيرة للغاية حيث قدمنا كفرقة جاز أغاني روك، وحدث خلاف في وجهات النظر بيننا وبين الجمهور لأن هناك من يحب أن يسمع الجاز ومن يحب الروك، وكانوا في حيرة هل سنقدم الجاز أم الروك ولكننا قمنا بتقديم قالب جاز وأغاني روك.

وذلك كان جديداً على الجمهور وفي الحقيقة شكلنا حالة صدام معه في المرة الأولى، وبحثنا عن مغنين يغنون هذا النوع وكان الاختيار على أكثر من شخص وهناك أسماء كثيرة منهم سيف سبيعي وهو يغني وله شغفه بالغناء ولديه فرقته وتشكيلاته ولكن مع فرقة كبيرة يكون الموقف أغنى، ومصطفى شهابي، وعلى الرغم من انشغالهما إلا أنهما أحبا الفكرة جداً وتبنياها، وبشكل عام فإن المغنين ليسوا احترافيين إلا أن تلك الموسيقا تمثل شغفاً كبيراً بالنسبة لهم.

• هل كنت راضياً عن أداء المغنين بما أنك ذكرت أنهم ليسوا احترافيين؟

هم هاوون أكثر من كونهم محترفين ولكن يكفي أنهم أعطوا الأغنية حقها وغنوها بشغف ومحبة والموضوع لم يكن إلزاماً لهم إنما فكرة الحفلة شكلت لهم مصدر سعادة بأن يغنوا أغاني يحبونها بغض النظر عن المكان والجمهور والفرقة.

• برأيك أيجب إدخال هذا النوع من الموسيقا إلى مناهجنا حتى لا تبقى دخيلة على مجتمعنا؟

في كل العالم هناك مدارس تدرس الجاز والروك، وفي سورية لا يزال الوضع ضيقاً ومحدوداً لأنه ليس لدينا كوادر للتدريس، ويجب أن يدرس ذلك في المعهد العالي للموسيقا الذي تأثر بالحرب على بلدنا وخسر الكثير من كوادره التي درست وتدرس.

ولكن من الصعب أن نبني من جديد قبل أن نحافظ على الشيء الذي عندنا ونبني عليه فهو الأرضية الكلاسيكية والعربية التي تآكلت شيئاً فشيئاً، وبما أن بناء شيء جديد صعب المفروض ترميم الشيء الموجود عندنا وإذا عادت الأسس مثلما كانت قبل عام ٢٠١٠، فعندها نستطيع أن نفتح مجالاً لأي شيء جديد، ولكن في الوقت الذي لا نملك فيه كوادر تدرس ذلك صعب جداً.

• قمت بجذب جمهور الجاز والروك على مسرح دمر كم كان ذلك صعباً؟

في مسرح يتسع لـ٣ آلاف شخص كان لا بد من طريقة تجذب الناس للحفل وعملت على جذب جمهور الجاز والروك وخاصة أن جمهور الروك أكبر بكثير في سورية وجذبنا بهذه التشكيلة المبطنة الاثنين معاً.

• ما المشاريع التي تفكرون بها لنشر هذه الموسيقا في سورية؟

نفكر في دمجها مع الموسيقا العربية لأن هذين النوعان يتناغمان مع بعضهما وهي تجربة قديمة قدمتها أوركسترا الجاز السورية ونحن سنكمل ما قدمته الفرقة حيث كنت أنا عنصراً أساسياً فيها، وباعتقادي أنها كانت ناجحة لأن الأذن الموسيقية كانت في ذلك الوقت ممتلئة بالجاز ويجب أن نعود ونعمل على تعبئتها من جديد بموسيقا الجاز وبعدها ندخل عليها الموسيقا العربية، لأننا الآن إذا دخلنا العربية والجاز سيميل الجمهور إلى الموسيقا العربية، ونحتاج في البداية إلى إدخال قطعة أو قطعتين جاز إلى الموسيقا العربية وبعدها يمكن أن نعمل شيئاً خاصاً.

• نستطيع أن نعتبر هذا الحفل هو الانطلاقة لكم؟

بالتأكيد ولكن إلى أي مدى نستطيع أن نستمر وإلى أي حد تستطيع المؤسسات الثقافية أن تتبنى هذه المشاريع والأعمال لأنها مكلفة كثيراً من خلال توفير المستلزمات لفرقة كبيرة من صوت وإضاءة ومرئيات وكوادر مساعدة ومصاريف فرقة، لذلك مهما دعمتنا المؤسسات الثقافية ودعمنا نحن أنفسنا نبق بحاجة إلى الدعم من أي شخص آمن بهذا المشروع.

• برأيك هل الروك والجاز قابلان للتطور والاستمرار في سورية؟

بكل تأكيد لأن جمهورهما كبير جداً وهي شريحة الشباب التي نعتبرها مثل الاسفنجة تمتص كل شيء ومن واجبنا أن نعطيهم موسيقا ومادة فنية غنية حتى يمتصوها بشكل جيد.

• دور الموسيقا في تحقيق التطور والحضارة التي ننشدها؟

لها دور كبير إذا أضيء عليها بشكل صحيح، ومثلما تدعم الدولة الخطوط الدينية وغيرها أدعوها إلى دعم الخط الثقافي للشباب، وبالموسيقا نستطيع تغطية الأخطاء التي تحدث في الخط الديني مثلاً، وبرأيي يجب ألا نصدّر صورة عن سورية أنها بلد تدعم الدين، بل يجب أن نبين للعالم كله أن وجهتنا هي الثقافة والموسيقا والفن والمسرح.

ولاحظنا في الحفل الاختلاف الكبير في وجهات النظر بين جمهوري الجاز والروك وعلى المستوى الشخصي كنت سعيداً جداً بتلك الضجة لأننا لامسنا روح واهتمام الشباب.

• من كان الداعم لكم؟

فقط دار الأوبرا دعمتنا في كل شيء وأعطتنا المكان والدعم الكامل ولكننا بحاجة دعم ليس فقط من وزارة الثقافة، ربما حفلتنا لها أيضاً وجه سياحي في البلد وآخر له علاقة بالتربية أو أي شيء.

• إلى أين تطمحون بالوصول؟

نحن نركز على أن ننتشر هنا في البداية وبعدها ننطلق ونتطلع أن يأتي الخارج إلينا ليروا كيف نعمل لماذا نذهب نحن دائماً لهم، ويروا أن سورية عكس ما يسمعون على القنوات المزيفة، بل هي شيء مختلف تماماً وفيها كل المقومات التي تجعل الناس في الخارج يأتون ويرون ما لديها.

• هل أخذتم حقكم كشباب؟

لم نأخذ أياً من حقوقنا وكل مشاريع الشباب هي ذات مستوى متدنٍ، ولكننا نترقب من دار الأوبرا التي وضعت ضمن خطتها في الصيف القادم دعم الشباب من خلال مهرجان كبير سيكون فقط لموسيقا الشباب، وذلك ضمن الإمكانات المتاحة ولكن إلى متى ستبقى وزارة الثقافة تتحمل هذه الأعباء ونحن بحاجة إلى دعم من شركات خاصة وهي اليوم تدعم فقط الموسيقا الشعبية وأتساءل: لماذا لا يدعمون المشاريع الجدية والراقية؟

• أي الأنواع الموسيقية تفضل؟

الجاز مع أنني عازف رئيسي في السيمفونية الوطنية ولكن شغفي موسيقا الجاز والروك التي ليس لها علاقة بالكلاسيك، ولأنها موسيقا تمثل الشباب ولذلك أحاول دائماً أن أعمل عليها وأطورها بقدر الإمكانات الموجودة.

• كيف ترى المشهد الموسيقي السوري؟

أراه يذهب باتجاه واحد وهو الضغط على المؤسسة الثقافية التي ترعى المشهد الثقافي السوري أو الموسيقي السوري، لذلك كل شيء يبقى محصوراً ضمن هذه المؤسسة التي لا تستطيع أن تتحمل أعباء كبيرة، لذلك أرى الأمور تمشي بشكل باهت ولا يوجد أي تباينات أو ألوان.

«الإنتروبيا والشعر» استفادة من العلوم الفيزيائية والسياسية

إذا حققت متعة للآخرين واخترقت عاداتهم وطقوسهم المعتادة فستصل إلى قدرة المجابهة

| سوسن صيداوي

كل فعل أو حركة أو فكرة أو شعور في حياة أي فرد يتطلب وجود طاقة لإنتاجه ومعالجته، أولية أو تركيبية، لا تلبث أن يتبدد جزء منها أثناء الفعل، فيصبح الناتج أقل من الطاقة المبذولة». وباستعارة مفهوم (الإنتروبيا) بنظرة الفاحص المتأمل، تشكل السلطة الخفية التي تسيّر الوجود. من هذه العبارات جاءت الدراسة (الإنتروبيا والشعر)، تأليف: محمود نقشو، الصادرة حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب بواقع ٢٨٧ صفحة من القطع الكبير، مقسماً إلى ثلاثة أبواب.

وفي التعريف يضيف بأنّ تحمل كل حالة تجدد وديمومة مرئية في ثناياها إنتروبيا تبددها الخاصة التي تتجلى باندثار ملايين الخلايا في الدقيقة الواحدة داخل الجسم الحي، وهذا هو الفعل الإنتروبي المتواتر: هدر مؤبد لصيغ البقاء، ونفي قاطع لفكرة الخلود؛ ولن تتوقف محاولات التجدد قط ما دامت الحياة قادرة على الاستمرار.

إن البشرية وأحلامها ونواتج إبداعها وكشوفها وحضاراتها، وقصص العشق والمجازفات والمغامرات، وتجليات الفنون والثقافة الشعبية ما هي إلا تحديات متواصلة لكابوس وسلطة الإنتروبيا التي تمتلك سيادتها المحسومة، وتتحكم بسياقات الوجود بفداحة ما تبدده وليس بعظمة ما أنتجه الإنسان طوال العصور.

جدلية الطاقة والإنتروبيا

اعتبر الباحث محمود نقشو في دراسته وتحت هذا العنوان، بأن أقرب وصف للإنتروبيا هو أنها (ظل الطاقة) الذي يلازمها كما يلازم الإنسان ظله، وبهذا فإن وجود إحداهن يدل على الأخرى... مشكّلتين علاقة جدلية تفسّر ظواهر عديدة في الحياة. متابعاً: «إنه من المعلوم أن الطاقة تسود المكان والزمان، وهي ثابتة في كميتها. لكن النور يستتبع الظل. كذلك شأن الفوضى، إنها ظل الطاقة. والفوضى هي الإنتروبي، حيث تحاول الإنتروبيا دائماً تخريب ما تصنعه الطاقة، فإذا كانت الطاقة هي الترياق من باب المقاربة والتشبيه، فالإنتروبيا هي السم، وعلى عكس الطاقة تزداد الإنتروبيا على نحو مطرد. وكان يُظن حتى فترة قريبة أن الإنتروبيا هي مفهوم إحصائي محلي يرتبط بكل حيز مغلق، إلا أن العلماء اكتشفوا أن ازدياد الإنتروبيا قانون كوني. وعلّة ذلك أن أي فعل كوني لا ينجز إلا بتحول كمية من الطاقة من شكل لآخر. لكن هذا التحول غير متوازن، بمعنى أن جزءاً من الكمية المذكورة يتبدد على الدوام، ويمثل هذا التبدد ازدياد الإنتروبيا، وهكذا مع مرور الزمن تتبدد الطاقة الكونية بكاملها. وتبدو السيالة الزمنية المتجانسة عاجزة بحد ذاتها عن إجراء أي تغيير، لذا لا بد من بذل الطاقة وازدياد الإنتروبيا دائماً».

الشعر في العصر الإنتروبي

يقول الباحث: إن الكلمة طاقة لها معنى، والمعنى هو فكر منظم في شكل قانون حركي وهو يمثل القوة وراء الكلمة، ولكي يكون هذا القانون نافذاً يلزم أن يشتمل على الحكمة اللازمة لتحقيق

التوازن التام. مضيفاً: «الناس في حياتهم لا يستخدمون من اللغة إلا ما يكفي لتحقيق الاتصال العادي أو قضاء الحاجات البسيطة التي تعودوا على قضائها كل يوم. وبإحصاء عدد الكلمات التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية يتضح أنها لا تزيد على مئتي كلمة، وهي قاموسهم المحفوظ الذي يعبّرون به عما هو شائع مشترك بينهم. ولا شك أن هناك مستويات من اللغة أرقى وأغنى من هذا المستوى يستخدمونها في مناقشاتهم السياسية، واتصالاتهم الفكرية، وكتاباتهم النثرية على اختلاف أشكالها. لكن في الشعر مستوى آخر أو هو بعبارة أدق لغة أخرى».

مضيفاً: إن الشعر هو اللغة الساحرة التي يتغنى بها الناس ويهتزون على إيقاعها ويتصلون فيها بالطبيعة ويملكون الزمان والمكان، هو هذه اللغة الشاملة التي يتمثل بها أنفسهم، ويقبضون على العالم ويصطادون كل ما فيه من موجودات لأنها لغة ناطقة مصورة مفكرة تجمع بين الماضي والحاضر، الخيال والواقع، الحلم والحقيقة، المعقول واللامعقول. متابعاً: «أما اليوم فالوضع قد تغير، إذ إن الشرعة التي تميّز العصر، وانتشار نتائج الحضارة الصناعية الحديثة وغلبة الاتجاه العلمي المحض على المجالات الثقافية في أكثر بقاع العالم، وكون الإنسان قد صار مأخوذاً بعدد كبير من المغريات ووسائل التسلية الكثيرة الميسورة، التي تكتنفه من كل جانب، وضمور القرائح الشعرية نفسها، بالقياس إلى العبقريات التي ظهرت في الماضي، وشغلت

أبو الطيب المتنبي

أجيالاً بروائعها، والخيبة المريرة التي أصابت إنسان العصر بغياب الحلم وازدياد متسارع في مستويات الإنتروبيا غير مسبوق، كل هذه العوامل وغيرها، جعلت أصواتاً عالية ترتفع هنا وهناك، منددة بالشعر، زاعمة أنه فن بدائي، يمثل عقلية الإنسان في عهد الطفولة الإنسانية، ولا يتلاءم مع الذهنية الحديثة، التي تميل إلى الموضوعية والدقة العلمية». خاتماً هنا بنقطة تقتضي «كل ذلك يدفع باتجاه النهوض بالشعر من مبدعين قادرين على بث الحياة في هذا الفن العظيم من جديد.. كي تعود الحياة ذاتها أحلى. في الشعر حضور الحلم والرؤيا، وفي غيابه سيادة الجفاف والإنتروبيا».

الإنتروبيا ومستقبل الشعر

في الشعر قواعد وانسجامات وتشكيلات نصية تضفي شيئاً من الانتظام على الحياة في مواجهة الإنتروبيا المتكاثرة والمتعاظمة والمحيطة بالإنسان المعاصر والحياة عموماً، ويضيف الباحث محمود نقشو: «وفي الشعر من حقل الجماليات الكثير من الفنون الجميلة، وبالأصل القصيدة في بنيتها تمثّل تصميماً معمارياً جميلاً للغة، وغالباً ما يأتي مع كل قصيدة جديدة برؤى تصميمية تزيد من انتظام الطاقة العامة للحياة، ومن انتظام الطاقة الشخصية للقارئ والمستمع على السواء». متابعاً: في مكان آخر: إن الإنتروبيا تقيس الفوضى والفشل وعدم النظام والتردي.. تتلبس الطاقة المبدعة وتتلطى في الزوايا، كي تنال منها، وتقيدها، أو تمنع عنها المزيد، في صراع وتجاور دائم ولصيق بالإنسان، والإنسان المبدع خصوصاً. إذاً فالقصيدة ليست مجرد مجموعة من الخواطر أو الصور أو المعلومات، لكنها بناء مندمج الأجزاء، منظم تنظيماً صارماً. وعليه أصبحت القصيدة نوعاً من تمثيل العالم، وتشكيلاً جمالياً وفنياً للوجود، في إعادة إنتاج حيوية للمعنى الكوني بأنموذجه الجمالي وهو يفسّر حركة الأشياء تفسيراً شعرياً نوعياً.

من الخاتمة

يرى الباحث بأن الإنتروبيا هي كل الضائع والمبدد والفاشل من طاقاتنا وأعمالنا وأحلامنا.. ما نخطط له ويفشل، أو ما نحققه بنسبة إنجاز بسيطة.. هذا الهدر في الوقت والخبرات والإمكانيات يزيد من فشل العالم والكون في مواجهة الطاغوت (الإنتروبيا) ويأخذ الإنسان خطوة أخرى باتجاه الفناء. هذا من جهة ومن جهة أخرى يضيف محمود نقشو: «إن إبداع الشاعر لقصيدته لا يختلف في جوهره عن تحقيق خلق مماثل. بل هو في الحق استمرار للإبداع الأول، وتكريس لتلك الحرية الباطنة في الكون التي تعطي الوجود معناه. وقد استطاعت هذه الحرية، عبر ارتقاء الحياة على الأرض، أن تتجاوز المعوّقات (الشواشية)، لا بل أن تسخّرها كما يحلو لها، محوّلة الضجيج والكوارث إلى خلفية دافعة للتطور إلى الأمام».

مشيراً في النهاية إلى «تحمل كل حالة تجدد وديمومة مرئية في ثناياها (إنتروبيا) تبددها الخاصة التي تتجلى باندثار ملايين الخلايا في الدقيقة الواحدة داخل الجسم الحي، وهذا هو الفعل الإنتروبي المتواتر: هدر مؤبد لصيغ البقاء، ونفي قاطع لفكرة الخلود. ولن تتوقف محاولات التجدد قط ما دامت الحياة قادرة على الاستمرار. إن البشرية وأحلامها ونواتج إبداعها وكشوفها وحضارتها وقصص العشق والمجازفات والمغامرات وتجليات الفنون والثقافة الشعبية، ما هي إلا تحديات متواصلة لسلطة الإنتروبيا التي تمتلك سيادتها المحسومة، وتتحكم بسياقات الوجود بفداحة ما تبدده وليس بعظمة ما أنتجه الإنسان طوال العصور».